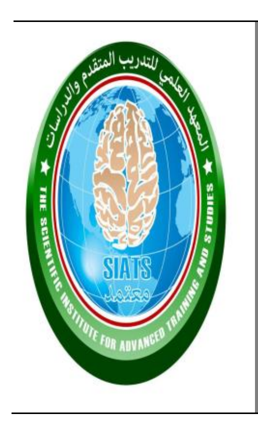


SIATS Journals

Journal of manuscripts & libraries Specialized Research

(JMLSR)

Journal home page: http: //www.siats.co.uk



مجلَّة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التَّخصصيَّة

المجلد1 ، العدد 3، أيلول ، سبتمبر 2017م.

ISSN 2550-1887

RESEARCH STUDIES IN THE WATER METER IN MOROCCO AND ITS ROLE IN THE EXPLORATION OF HISTORICAL DOCUMENTS

الدراسات البحثية بماستر الماء بالمغرب ودورها التنقيبي عن الوثائق التاريخية.

عبدالرزاق القرقوري

جامعة القاضي عياض/كلية الأداب والعلوم الإنسانية،

اسطنبول – تركيا

elkarkouri04@gmail.com

1438 هـ 2017م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/4/2017
Received in revised form 13/5/2017
Accepted 19/8/2017
Available online 15/9/2017
Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The Master Program titled: « Water in the Moroccan History », at Cadi Ayad University, deals with the role water plays in people's social and economic lives. Accordingly, students have focused their research on everything that concerns Moroccan tribes in their relation with water… As a result, scholars were required to seek anything contributes in writing a history that maintains the social and economic life and organizes tribal communities without focusing only on political history… That has given rise to a special type of research in documents that concern water.
This research has achieved its goal thanks to the students' concerted efforts and teachers' recommendations and instructions. Consequently, various important documents have been gathered in the field of historical research especially the areas which were under academic studies … Although some areas were geographically limited, but student were able to come up with more than 100 documents…The latter have enriched their academic research and contributed in a historical writing based on concrete references that have revealed precious information….In fact, relying only on books and monographs would not be able to achieve such historical and intellectual outcome….

For these reasons, we have shed light on the role those academic studies, in the Master Program of Water, plays in this applied and practical project….By means of illustrating its ideas in this scientific contribution, which has dealt with such documents, it has dealt with such documents, it has highlighted its structural and furthermore objective aspects and revealed the methods and techniques to get it and thus reveal clearly the effects and interactions between these documents and academic studies taking into account the importance of such documents from the



social, intellectual and political sides. Also, taking into consideration the role that teachers play in orienting students to the importance of these documents as it contribute in writing history from a social and historical angle.

The Innovative Idea

It is worth focusing on these documents due to their significance… We need to recommend researchers who are interested in this field of study to check and gather documents as well as emphasizing the role of academic research in enriching the human knowledge in line with the conference's subject which is concerned with the practical procedures. Among the steps that may provide solutions to keep historical documents from getting lost are this kid of research that push students to dig into these historical documents.

Students are required to seek such documents that exist in their areas because researchers who do not belong to these areas usually find it difficult to get these documents. This entails students to belong to various areas so that they can gather adequate data on these areas in order to create a historical outcome of different areas.



الملخص

يعالج موضوع ماستر الماء في تاريخ المغرب بجامعة القاضي عياض ، دور الماء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للناس مما دفع الطلبة الى التركيز على البحث عن كل ما يتعلق بالقبائل المغربية ورصد علاقتها بالماء... هذا ما فرض على الدارسين ضمنت هذا التكوين التوجه للميدان للنبش عن كل ما يمكن أن يساهم في كتابة تاريخ يراعي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتنظيم الجامعات القبلية دون الاقتصار على التاريخ السياسي.. ففرض هذا تنقيبا خاصا عن الوثائق التاريخية المتعلقة بالماء , هذا التنقيب حصل بغيته عبر تظافر مجهودات الطلبة في البحث ونصائح وارشادات الاساتذة داخل الفصل الدراسي.

نتج عن هذا تراكم معرفي للبحث التاريخي الذي توفرت لديه وثائق تاريخية في المجالات التي تم البحث فيها وهمتها الدراسات الجامعية... فبعض هذه المجالات والتي تكاد تكون مساحتها الجغرافية قليلة ، لكن استطاع كثير من الطلبة ان يحصلوا على اكثر من مئة وثيقة ، اغنت البحث التاريخي وقدمت اضافات لبحوثهم، مما ساهم في تحقق كتابة تاريخية ملموسة وكشفت عن معلومات قيمة. ما كان للبحث في الكتب و المنوغرافيات لوحدها ان تحقق هذا الإنتاج الفكري التاريخي..

هذا ما دفعنا لتسليط الضوء على هذا المشروع العلمي التطبيقي الذي تلعبه مثل هذه التكوينات وذلك عبر بسط افكاره وما يتضمنه هذا الماستر وكيف ساهم في جمع عدد كبير من الوثائق، مما حتم علينا التعرض في هذه المشاركة العلمية له والكشف عن نوعية الوثائق وتعريفها والتي رصدت جوانب موضوعية متعددة ، فدرسناها من الناحية الشكلية وبينت هذه المشاركة العلمية الطرق والاساليب المتعلقة بسبل الحصول على هذه الوثائق والتوصل لأماكنها، وكذا ابراز علاقة التأثير والتأثر الحاصلة بين الوثائق ومخزوناتها واضافاتها النوعية ، سواء من الناحية الاجتماعية او الفكرية او السياسية او الفقهية ، مركزين على الدور الفعال الذي لعبه الاساتذة في توجيه وتكون الطلبة ، وحثهم على البحث والتنقيب عن مثل هذه الوثائق وعيا منهم بما لها من اضافات جديدة تسهم في كتابة تاريخ من لا تاريخ لهم عبر زاوية التاريخ الاجتماعي.



مقدمة

مما لا شك فيه أن الدراسات والأبحاث الجامعية بالوطن العربي والعالم الإسلامي عموما ، أضحت لها أهمية كبرى في الرقي والازدهار الذي تحققه الشعوب والأمم نتيجة الأبحاث العلمية المميزة التي تضيف للإنسانية مكاسب مهمة وكذلك العلوم الإنسانية وما لها من دور مهم في تطور الشعوب والأمم، ومن هذه البحوث ما يتعلق بالحقل التاريخي الذي بدوره يساهم في تطور الحضارات انطلاقا من كون دراسة الماضي طريق لفهم الحاضر .

تعتبر الدراسات التاريخية خزانا مهما للثقافات وتعتمد بشكل كبيير على الوثائق والمخطوطات رغم ما عرفته الوثيقة من تطور في مفهومها مع مدرسة الحوليات بأروبا ، مما ساهم في توسيع هذا المفهوم الذي انتقل من المعنى المادي للوثيقة ، الى معاني متعددة واصبحت الوثيقة تشمل ماهو مكتوب أي الوثيقة المكتوبة والوثيقة المادية. فلو بحثنا في اصل الكلمة أي الوثيقة لوجدناها عربية الأصل ، وهي تستعمل من طرف المؤرخين العرب كمقابل للكلمة اللاتينية documentent. التي أصبحت document بالفرنسية وأيضا بالانجليزية والتي تحمل في الأصل معنى قانونيا تفيد الحجة التي تقنع القاضي ومن هذا الاستعمال كلمة وثيقة ، والسبب في ذلك هو أن المؤرخ العربي مازال يستعمل في الغالب الحجج المكتوبة [1] . ونشير بدورنا إلى ان بعض الدراسات الجامعية التاريخية أولت اهتماما خاصا بالوثيقة نظرا لأهميتها وما تجود به من معلومات اجتماعية او تاريخية او سياسية ، وانفردت شعبة التاريخ بجامعة القاضي عياض مراكش بفتح ماستر تحث عنوان " الماء في تاريخ المغرب " هذا ما جعل العديد من الطلبة الباحثين يغوصون في البحث عن الوثائق التاريخية المتعلقة بالماء سواء من ناحية بيع الماء أو النزاع حوله أو حق ملكيته ، وكذلك طرق تنظيمه وتوزيعه وتدبيره ، ونالت بعض البحوث[2] درجات مميزة نظرا لما حققته من إضافات جديدة انطلاقا من الوثائق التي تم ايجادها ، أو من ناحية المعلومات التي أضافتها خصوصا فيما يتعلق بالتاريخ المحلي ، ذلك أن أغلب البحوث التي اعتمدت على وثائق محلية مرتبطة بالماء تهم بشكل كبير الجانب الفلاحي فتعالج طرق السقي والتدبير والتوزيع والفتاوى

---

[1] – عبدالله العروي مفهوم التاريخ، الالفاظ والمذاهب، المفاهيم والاصول، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب الطبعة الرابعة سنة 2005. ص 82.

[2] – بحث الطالب رشيد الشحمي، كنموذج لهذه البحوث و الذي أشرف عليه الدكتور المنصف الكريسي ، انجز بماستر الماء في تاريخ المغرب.



المتعلقة بالماء، مما أفرز لنا ذخيرة علمية مهمة من ناحية الوثائق اغنت الخزانة المعرفية التاريخية وذلك بإزالة الغموض عن الحياة الاجتماعية للقبائل المغربية قيد الدراسة وتناولها من جانب أخر غير الجانب السياسي وفقط.

استطاعت هذه البحوث أن تؤرخ لتاريخ اجتماعي للمناطق معتمدة بشكل كبيير على المعطيات الجغرافية التي لعبت دورا مهما في تفسير بعض هذه الوثائق خصوصا وأنها كتبت بطريقة صعبة ليس من السهل التعرف عليها أو قراءتها انطلاقا من الوهلة الأولى نظرا لقدمها أو قدم استعمال مصطلحاتها التي تعنى بفترة كتابتها ، فساهمت الجغرافيا الطبيعية بالأساس في فهم هذه الوثائق. ومهما يكن فإن هذه الوثائق تعد لبنة اساسية ومركزية في التعرف على تاريخ من لا تاريخ لهم ، فرصدت لنا جوانب مهمة من تاريخ المهمشين ، وهذا أمر لم يقتصر فقط على المعلومات التي قدمتها هذه الوثائق بل أيضا شمل مستويات العناية بها وجمعا وتخزينها، ونتجت عن هذه الدراسات البحثية التاريخية المتعلقة بالماء وفرة مهمة في الوثائق التي تلامس الحياة الاجتماعية للقبائل هذه الوثائق منها ما تم تحقيقه ومنها ما يحتاج للتحقيق لكونه شملته عملية الجمع والتخزين . وإلى جانب البحث عن الوثائق المتعلقة بالماء تم اكتشاف العديد من المخطوطات ذات الطابع الفقهي التي ترصد الحياة الدينية للقبائل أو الحياة الفكرية خصوصا ما تزخر به الزوايا من ذخائر علمية وفكرية.

فما هي نوعية هذه الوثائق التاريخية التي تم اكتشافها والحصول عليها؟

ومن هي الجهة التي كانت تشرف على تخزينها؟

وما هي سبل التوصل إليها والطرق المستعملة في الحصول عليها؟

وكيف استفادت هذه الوثائق من الدراسات والابحاث الجامعية ؟

هذا ما دفعنا للخوض في هذا البحث العلمي الذي يرصد دور الدراسات والأبحاث الجامعية في خدمة المخطوطات والوثائق التاريخية ، وعيا منا بالدور الفعال الذي قدمته بعض الأبحاث التاريخية بخصوص الوثائق المحلية المتعلقة بالماء، فكان لزاما علينا وضع تصميم لهذا البحث يراعي موضوع المؤتمر الدولي ويصب في منحى أهدافه ، ومبنيا على نماذج حية من الميدان اهتمت بهذه الوثائق أنجزت داخل ماستر الماء بتاريخ المغرب.



المبحث الأول : نماذج من الوثائق العدلية المتعلقة بالماء.

1-1 : تعريف الوثيقة.

لا يخامرنا أدنى شك في الإقرار بمسألة كون الوثيقة كلمة عربية وجمعها وثائق والوثيقة مؤنث للوثيق وهو الشيء المحكم والوثيقة في الأمر إحكامه ، والميثاق بمعنى العهد والمواثقة بمعنى المعاهدة. ونظرا لما بلغه عدد الوثائق من وفرة وتطور ولما لهذه الوثائق من أهمية في كتابة التاريخ وإزالة اللبس على الحقل التاريخي عموما ، نجد أن المدرسة الوضعية بأروبا اهتمت بالوثائق وتم تقديس الوثيقة بشكل كبيير نظرا لكون اروبا كانت تحتاج للوثائق لكتابة التاريخ ، حتى أن المؤرخين الشهيرين لونجلوا وسينيوبوس أطلقا قولتهما الشهيرة التي وسم بها القرن التاسع عشر ككل ألا وهي " لا تاريخ بدون وثائق" .

ويذهب المؤرخ كولين وود في تعريفه للوثيقة بالقول " أي شيء يمكن أن يصبح وثيقة لأي سؤال تاريخي، ويعزز هذا المؤرخ مارو حينما يعرف الوثيقة بأنها هي كل مصدر للمعلومة يمكن للمؤرخ أن يستخرج منه شيئا من أجل معرفة ماضي الإنسان.

ويبقى تعريف لوسيان لو فيفر في تعريفه للوثيقة من التعاريف الأكثر وضوحا، إذ يقول " لا شك أن التاريخ يكتب اعتمادا على الوثائق المكتوبة إن وجدت ، لكن يمكن بل يجب أن يكتب إعتمادا على كل ما يستطيع الباحث بمهارته وحدقه أن يستنبطه من أي مصدر من المفردات والرموز. ومن المناظر الطبيعية، ومن تركيب الأجور، من أشكال المزارع ومن الأعشاب الطفيلية من خسوفات القمر ومن مقارن الثيران من فحوص العالم الجيولوجي للأحجار ومن تحليلات الكيميائي للسيوف الحديدية "[3].

نستخلص مما سبق التطرق إليه من التعاريف أن مفهوم الوثيقة يخضع لتوسع في مدلوله نتيجة لاستمرارية ما يخلفه الماضي ، بمعنى أن مخلفات الإنسان وأثاره في استمرار متزايد ، وانطلاقا من هذا الاعتبار وجدنا في الدول العربية بعض المفكرين أدركوا أن مفهوم الوثيقة في الوقت الراهن لم يعد يؤدي المعنى المطلوب ومن هؤلاء، الأستاذ عبد الله العروي

[3] – عبدالله العروي ، مفهوم التاريخ، مرجع سابق، ص 81.



الذي استعمل مكانها كلمة يعتبرها أشمل منها وهي كلمة **شاهدة** والتي جمعها شواهد وحسب هذا الأخير فالشاهدة بهذا المعنى هي كل مخلفات الماضي مهما كانت أشكالها وموادها ومنافعها .

وبذلك فإن هذا التطور الحاصل في مفهوم الوثيقة ونظرا لتوسع مدلولها فعبدالله العروي يجد تفسيرا لهذا التوسع بالإقرار بأنه نتيجة للتطور التاريخي الطويل فيتحدث لنا ويقول " لو سألنا باحثا في متحف أثري عن ماهية الوثيقة لقال على الفور هي بقايا حجرية حيوانية، أو نباتية لو سألنا باحثا على عتبة مكتبة وطنية لقال : هي المخطوطات والرسائل والكناشات، لو سألنا متخصصا في تاريخ القرن التاسع عشر لقال هي التقارير القنصلية والصور الشخصية والنقود. لو سألنا متخصصا في القرن العشرين لقال هي : الخطب المسجلة والافلام الوثائقية والاستجوابات والاشعار والأغاني"[4]

هذا ما يجعلنا نقر بأن تعريف الوثيقة يتخذ طابعا مختلفا حسب الزمان والمكان والجهة المقدمة للتعريف ، وكذلك إقرارنا بأن الوثيقة التاريخية حسب متطلبات تخصص ماستر الماء في تاريخ المغرب والتي تعتبر لبنة أساسية في كتابة وإنجاز البحوث الجامعية لها خصوصياتها هي الأخرى ولها تعريفها وتتميز بجوانب شكلية وموضوعية تهمها وتتعلق بها وتعالج مواضيع تمس الحياة الاجتماعية للسكان تماشيا مع أهداف التخصص الذي ينتقل بالمؤرخ الباحث من قوقعة التخندق في البحث التاريخي السياسي الذي تميز بتحكم مؤرخي البلاط والحاشية وأملى علينا الخروج إلى البحث التاريخي الإجتماعي الذي يدرس علاقات الإنسان والقبائل فيما بينها، ويزيل اللثام عن تاريخ المنسيين والمهمشين ، هذا ما فرض علينا توضيح تعاريف للوثيقة العدلية المتعلقة بالماء وامكنة تواجدها.

1-2: الوثيقة العدلية المتعلقة بالماء تعريفها والجانب الشكلي المتعلق بها.

الوثيقة العدلية هي الوثيقة التي يكتبها العدل بموجب رسمي مبني على قواعد قانونية ، يتكلف بتحريها وفق تعيين من السلطان او جهاز المخزن، وتوجد وثائق عدلية يكتبها الفقيه[5] بخط يده حيث يتخذ هذا الأخير صفة القاضي

---

4 – عبدالله العروي ، مفهوم التاريخ ص 80.

5 – **الفقيه** : باللغة العامية المغربية هو ذلك الإنسان الحافظ للقرآن الكريم والذي يؤم اهل القرية او القبيلة او العشيرة في الصلوات الخمس ويكون إماما للمسجد ولا يشترط فيه توفر التضلع في علوم الفقه والشريعة ، فيكتفي الناس في كونه حافظا للقران الكريم وعارفا بامور إمامة الناس في الصلاة ، وكتابة



الصغير في القبيلة تبعا لمهمة هذا الاخير نظرا لاعتبارات عديدة منها إتقان الكتابة والتوثيق، وتتخذ الوثيقة أشكالا متعددة في كتابتها. وليس بالضرورة أن يكون الذي يحرر هذه الوثائق يشتغل مع الدولة ، وإنما قد يكون في بعض الأحيان ممن منحتهم الأعراف القبلية فعل هذا الأمر.

شكل الوثيقة العدلية:

لا يمكن أن نقر بأن الوثيقة العدلية التي تعالج الماء أنها ذات شكل واحد ، حيث أنها تختلف بدورها حسب الزمان والمكان وفي معظمها مكتوبة بالصمغ ، وتكتب على وجهين فإما ان تكتب على ورق من الكاغد أو على اللوح الخشبي:

ويتكلف بتحريرها الفقيه أو العدل حسب الجهة المتكلفة، وتختلف لغة[6] وشكل الكتابة من منطقة لأخرى بمراعاة تقاليد وأعراف المنطقة، ونظرا لكتابتها باليد فإنها تعتبر صعبة القراءة ولا يتاح للجميع فهمها وقراءتها إلا من طرف عارفين بخبايا هذه الكتابة وأناس متضلعين في حل شفراتها ، فلو تمعنا في هذه الوثائق لوجدنا أغلبها متميز بخط[7] غير

واضح وغير مقروء ، وتكتب بطريقة استرسالية في الموضوع وتفتقر في بعض الأحيان للأسلوب اللغوي الرصين[8] نظرا لكون المغرب يعرف استقرارا أمازيغيا قبل مجيئ العنصر العربي الذي تميز بالكتابة والتدوين، وأيضا عدم تمكن الفقيه من قواعد اللغة العربية.

عقود البيع والشراء بين جميع أفراد العشيرة او القبيلة، وهو الذي يلجا في بعض الأحيان إليه لكتابة المواثيق العرفية التي تتميز بها القبيلة ، والتي تتكلف القبيلة بصاغتها كبنود لقوانين عرفية يصوغها اعيان القبيلة وأفرادها.

[6] – القبائل التي يغلب عليها العنصر الامازيغي بعض مفردات ومصطلحات البحث تحرر باللسان الامازيغي. اما القبائل ذات العنصر العربي الغالب فتستعمل فيها مصطلحات عربية صرفة.

[7]– يسمى هذا الخط بالخط النسخي المسند: حيث يعتمد فيه على الكتابة بالصمغ وتستعمل القصبة للعب دور القلم يكتب به غما على الورق او على الالواح، ويسمى بالمسند لاتصاله بالسند حيث يستمد من الفقيه الذي يستمده من شيخه الذي درسه .

[8] – هذا حكم لا يمكن تعميمه على كل الفقهاء، فناك بعض الفقهاء متضلعون في علوم اللغة العربية كشيوخ الزوايا.



وبما أن المجال المغربي يتميز بالتمازج بين المكون العربي والأمازيغي فقد ظهرت بعض اللهجات التي تجمع بين عدة لغات وتستمد قواعدها النحوية من لغات متعددة فنجد الوثيقة تحمل بين طياتها عدة مصطلحات أمازيغية على الرغم

من كونها مكتوبة بالعربية وبالخط العربي ، مما أفرز لنا تنوعا في المصطلحات ، يجعل من الدارس الذي يسعى للقيام بدور التحقيق مطالبا بمعرفة المصطلحات الأمازيغية التي توظف في بعض الأحيان بسياقات اللغة العربية وتكتب بالخط العربي ولا ينتبه لها كثيرا ، ويعتقد القارئ أنها مصطلحات ضمن اللغة العربية، وحقيقة الامر غير ذلك.

هذا ما يمكن أن يبرز لنا وثائق في القبيلة المغربية في سياقها العام تستجيب للتنوع الثقافي الحاصل في الزخم الفكري العربي وتلاقحه بثقافات عدة وانسجامه مع مجتمعات متعددة.

والوثيقة المكتوبة على اللوح بدورها لا تخرج عن السياق العام في كتابتها وكذا شكل الكتابة ، فتكتب على الألواح المصنوعة من الخشب، وهذا واضح جلي في القبائل المغربية التي لها وثائق عدة مكتوبة على الألواح الخشبية حتى أن عديدا من الدراسات والكتب[9] التي ألفها أساتذة باحثين وجامعيين إلى الاعتماد على مثل هذه الوثائق في تحرير كتبهم.

والوثيقة المكتوبة على الألواح قد تعتبر عرفا يستمد مشروعيته من القوانين المنظمة لسير القبيلة ،كما هو الشأن لألواح جزولة، واللوح هو كل صفيحة عريضة خشبة أو عظما وجمعه ألواح. والألواح عبارة عن قوانين وقواعد وضوابط صارمة ، تشتمل على إجراءات تتعلق بعقوبات مالية يعاقب بها كل من صدرت منه مخالفة ما من المخالفات التي تمس شرف الإنسان أو ماله أو بدنه... والألواح عند القبائل الجزولية المغربية مقدسة أكثر من تقديس القانون العصري... ولا تخرق

[9] – كتاب ألواح جزولة والتشريع الإسلامي لمؤلفه محمد العثماني أستاذ باحث بجامعة ابن زهر اكادير.



نصوصها ولا تحرف...والتسمية باللوح ليست عامة في جزولة[10] ، ولكنها معروفة عند الجميع. فهناك من يسميه بالديوان . ومن يسميه بالقانون ومن يسميه بالعرف.[11] ومن هنا فإن الألواح هي الأخرى يكتب عليها وتعتبر من نماذج الوثائق العدلية المتعلقة بالماء، يسري عليها مايسري على الوثائق المكتوبة على ورق الكاغد.

3-1: مضامين ومحتويات الوثائق المائية المستعملة في البحوث الجامعية.

بمجرد الخوض في غمار تحليل الوثائق التاريخية المتعلقة بالماء فإننا سنلاحظ تنوعا كبيرا في مضامين هذه الوثائق ، التي تزيل لنا الغطاء على جانب مهم من تاريخ القبائل والعشائر والقرى الصغيرة ذات الطابع البدوي المحتكمة للقوانين العرفية المبنية على توثيق الفقيه لبنود شتى من الاعراف وترصد الجانب العلائقي سواء ما بين الفلاحين أو السكان أو الحرفيين، وتلامس جزءا هاما من عيش هؤلاء الناس بمعزل عن القرارات السياسية الكبرى والقوانين المنظمة للدولة . يكون العرف[12] هو سيد هذه القوانين ، وبما أن الماء يعتبر مادة حيوية لا يمكن الاستغناء عنها فمشاكل الصراع حوله وكذا استعماله في الحياة اليومية لساكنة القبائل والقرى ،كان حاضرا بشكل كبير فرض بشكل أو بأخر الركون للتعامل مع الأرض وفق ما تزخر به الطبيعة من هذا المعطى مما أفرز لنا عادات وتقاليد مرتبطة بالماء لا يمكن اكتشافها إلا عن طريق الوثائق التي تعود لأزمنة سابقة تبين لنا كيفية استعمال هذه المادة الحيوية والتنظيم الاجتماعي الذي ينشأ انطلاقا من وفرة أو ندرة الماء.

وبذلك فمضامين الوثائق المتعلقة بالماء لا تخرج عن حيز جانب السقي والتعامل المرتبط بطرق السقي وتبين أساليب التدبير ، فبعد استقراء للوثائق التي تم جمعها والاعتماد عليها في البحوث والدراسات الجامعية التي اعتنت بهذه الوثائق، سنجدها تعالج مواضيع مختلفة منها ما يتعلق ببيع الأرض ومنها ما يتعلق ببيع الماء وشراءه وكراه ، ومن الوثائق ما يعتمد على الوصف الجغرافي للمكان الذي تعالجه الوثيقة.

---

10 – جزولة : هي أحد أفخاذ البربر القديمة، وقد عرفت بهذا الإسم من قديم جدا، كما كانت قديمة في هذه الناحية من المغرب، ورد هذا في كتاب محمد المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية ، الرباط 1386 هـ 1996 م ص 238.

11 – محمد العثماني ، الواح جزولة والتشريع الإسلامي، دراسة في اعراف القبائل السوسية في ضوء التشريع الإسلامي. الطبعة الاولى 2004. ص ص . 99-100-101.

12– العرف ما تعارفت عليه القبائل وما اجتمع الرأي حوله وقد يخالف في بعض الاحيان قوانين الدولة ، وتستند له القبائل كمصدر للتشريع.



ومن هذا نستخلص الوضعية التي كان عليها منسوب الماء في مكان معين في فترات سابقة، حيث تتطرق الوثائق للبيع والشراء والرهن والكراء ، وتبين طرق التنظيم، التي تتسم في بعض الاحيان أو كثير منها بالتعقيد وتعتمد على أساليب ابتكرها الإنسان لتطويع المجال تنم عن فكره المتطور الذي يتماشى وخصوصيات المجال الجغرافي، حسب الندرة والوفرة. فهذه الوثائق تعالج كل ما يتعلق بالماء وما يترتب عنه من صراعات ونزاعات وفتاوى بخصوص بئر او ساقية او نقطة ماء أو طرق التوصل لحل الصراعات ما بين العالية والسافلة.

وهنا مثال من إحدى الوثائق المحصل عليها والمدرجة في بحث الطالب رشيد الشحمي[13] تبين ملكية الماء على الشياع يعود تاريخها ليوم السبت 2 غشت 1817.

عنوان الوثيقة : ملكية الماء على الشياع[14].

"(الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد.

فنهاية ماصح وثبت للفقير أحمد بن عبدالكريم أيت ابراهيم من بلدة أيت عد باحضران المسطور جميع بحيرة أزان بستة أقصاب[15] وخمسة أقصاب وربع من فذان تلمشمشت [16] بتوررت مواليان القبلة وفدان[17] افدان يعني تلمست[18] فيه أربعة عشر قصبا وإحدى عشر قصبا وربع من فدان أكيد[19]بالمس[20] وثمانية أقصاب ونصف من فدان بامرغن المسمى

[13] – رشيد الشحمي جوانب من قضايا الماء بقبيلة مسفيوة من خلال وثائق عدلية من سنة 1704م إلى 1929م. مشيخة ايت إنزال نموذجا. تقديم ودراسة، بحث لنيل شهادة الماستر ، ماستر الماء شعبة التاريخ والحضارة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض مراكش سنة 2015،

[14]– –سنلاحظ أن الوثيقة تحمل بين طياتها مصطلحات مكتوبة باللسان الأمازيغي لكن بصياغة عربية مما يؤكد ما تطرقنا له بخصوص ضرورة فهم المصطلحات الامازيغية .

[15] – مقياس تقاس به مساحة الارض وهي القصبة الطويلة فيها سبعة اذرع.

[16] – إسم بحيرة نسبة إلى شجرة المشمش الموجودة بها.

[17] – فدان كتبها باللسان الامازيغي وهو الحقل المزروع باللغة العربية.

[18] – نوع من الاراضي المزروعة، وتعني الأرض ذات منبع مائي أو تربتها دائمة الوحولة.

[19] – أكيود يعني القرن وهنا يعني بها صفة الارض المنعرجة.

[20] – موضع جغرافي، وكلمة المس تعني منبع ماء أنظر طوبونيمية كلمة سجلماسة عند : حسن إدريسي وعبدالعزيز يوسفي، الأوضاع الاجتماعية والمعمار بسجلماسة (من قرن 2 هـ إلى 8هـ) أفاق بريس 2008، ص ص. 1-4-5-6.



في كض[21] من جيهة ريحة الشتاء[22] وفدان تلمعفريت فيه ثمانية اقصاب ونصف وفدان تحث الجنانة فيه إحدى عشر قصبا وبحيرة الموالية إسل[23] النابت في رأسه خروبة ثمانية اقصاب وقصبين غير ثلوث في أملوان وثلاثة اقصاب ونصف في إكلي مواليان الدار وخمسة أقصاب وثلوث في فدان افرض[24] وذلك بينه وبين ابنه كروم بن احمد منها للفقير احمد اربعين قصبا واحدى وخمسين لابنه المذكور وقيده[25] ليوم احتياجه بينه وبين ابنه ويعني حقهما في جنانة العنب جنانة ايت ايت تزكلا قصبا واحد وثلاثة اقصاب وربع في جنان تلخوخة[26] وجنانة تمزرت[27] نسخة صحيحة تامة وحظهما في الماء على الشيع[28] وكذلك أصول[29] التين والزيتون من غير قسمة[30] وكتب في التاسع عشر رمضان عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف عبد ربه محمد بن عبدالله الكلالي[31])[32]"[33].

---

[21] – في أكيضو ، وهو شجر الخروب، أي بحيرة تسمى فأكيضو نسبة إلى شجرة الخروب الموجودة بها.

[22] – أي مكان قدوم ريح المطر، ويسمى احيانا عين المطر وهو الغرب.

[23] – أي إسيل، وهو الواد وهنا يقصد الشعبة.

[24] – موضع جغرافي يوجد فيه العشب الكثير ويجمع منه أي يفرض منه بالأمازيغية ، ويقال لمكان يجمع فيه الماء.

[25] – أي وسجله وكتبه.

[26] – أي شجرة الخوخ ونسب الجنان بهذا الإسم لوجود شجر الخوخ بها.نظرا لقلة هذا الشجر بهذا البلد.

[27] – جنان به تمازرت أي الشلال الصغير.

[28]– نوع من الملكيات يكون مشتركا بين الناس على التساوي غير محدد المكان ، وهنا غير محدد الوقت . إلا أننا لم نقف عليه ، ربما كان نظاما مائيا بالمنطقة ولم يعد موجودا لأسباب مجهولة .

[29]– كلمة امازيغية تعني أشجار.

[30] – هذه الكلمة تفسر لنا كلمة الشياع أي الملكية غير المقسومة بين الافراد، وهذا إذا خص الامر الاشجار فإن الماء ايضا شياع وغير مقسوم.

[31] – هذا العدل هو بدوار تازليطة من مشيخة تغدوين .بالقرب من تحناوت اقليم مراكش.

[32] – الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد.

فنهاية ماصح وثبت للفقير احمد بن عبدالكريم أيت ابراهيم من بلدة أيت عد باحضران المسطور جميع بحيرة أزان بستة أقصاب وخمسة اقصاب وربع من فذان تلمشمشت بتوررت مواليان القبلة وفدان افدان يعني تلمست فيه اربعة عشر قصبا واحدى عشر قصبا وربع من فدان أكيد بالمس وثمانية اقصاب ونصف من فدان بامرغن المسمى في كض من جيهة ريحة الشتاء وفدان تلمعفريت فيه ثمانية اقصاب ونصف وفدان تحث الجنانة فيه احدى عشر قصبا وبحيرة الموالية اسل النابت في رأسه خروبة ثمانية اقصاب وقصبين غير ثلوث في أملوان وثلاثة اقصاب ونصف في إكلي مواليان الدار وخمسة أقصاب وثلوث في فدان افرض وذلك بينه وبين ابنه كروم بن احمد منها للفقير احمد اربعين قصبا واحدى وخمسين لابنه المذكور وقيده ليوم احتياجه بينه وبين ابنه ويعني حقهما في جنانة العنب جنانة ايت ايت تزكلا قصبا واحد وثلاثة اقصاب وربع في جنان تلخوخة وجنانة تمزرت نسخة صحيحة تامة وحظهما في الماء على الشيع وكذلك اصول التين والزيتون من غير قسمة وكتب في التاسع عشر رمضان عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف عبد ربه محمد بن عبدالله الكلالي.

[33] – رشيد الشحمي..مرجع سابق ص ص 92 93.



انطلاقا من تحليل مضامين هذه الوثيقة فإننا توصلنا الى نموذج من نماذج الوثائق التي تعنى بالبحث التاريخي والمتوفرة عند الأهالي بكثرة تحتاج الجمع والتحقيق لتبيان جوانب مهمة من تاريخ المجال والعلاقات البشرية وكيفية التصرف في الأرض والماء.



الصورة لإحدى الوثائق المحلية تعنى بالبيع والشراء، تبين أشكال الوثائق التاريخية العدلية المحلية[34]. والطابع الذي عليها لم يختم إلا بعد الحصول عليها.

[34] – توجد وثائق كثيرة على شاكلة هذه الوثيقة وغيرها، فبحث الطالب رشيد الشحمي جمع أزيد من 100 وثيقة من عند الأهالي. وبعض البحوث فاق 200 وثيقة.



المبحث الثاني: أماكن الحفاظ على الوثائق والجهة المحافظة عليها.

2–1 : الجهة الساهرة على المحافظة على الوثائق المتعلقة بالماء.

عندما نتتبع الوثائق المتعلقة بالماء ونحاول التعرف على الجهات التي تسهر على الحفاظ عليها ، يصعب علينا تحديد الجهات بالضبط التي تتوفر على هذه الوثائق لكن ما يلاحظ في المغرب هو الأماكن ذات الاستقرار البشري القديم والتي تضم في غالب الأحيان غلبة العنصر الأمازيغي نجد هذه الوثائق على وفرتها لا تكاد تعد ولا تحصى.

انطلاق من كون أماكن الاستقرار القديم هي عكس المناطق التي تعرف ترحالا وسكنتها القبائل التي تعرف الترحال والتي يمكن انتسابها للقبائل العربية الهلالية والمعقلية الوافدة على المغرب في القرن الخامس عشر للميلاد ، وغالب طبعها يتميز بطغيان الجانب الرعوي على الجانب الفلاحي مما جعل الوثائق المتعلقة بالماء قليلة بالمقارنة مع الأماكن ذات الكثافة السكانية الكثيفة والقديمة التي تستقر في الأرض وتتخذ جنبات الأنهار سكنا لها كالقبائل المصمودية القاطنة بالجبل والتي تتميز بقدم وعراقة الجانب الفلاحي ، هذا هو ما أفرز لنا كثرة في الوثائق وحال دون التعرف على الجهة التي لديها هذه الوثائق بالضبط.

لكن على الرغم من ذلك فيمكن الإقرار بكون الفئة المثقفة والتي تعي أهمية هذه الوثائق فإنها تحتفظ بها في حوزتها خوفا عليها من الضياع، وتساهم بشكل كبيير في الحفاض عليها والاسباب الراجعة لهذا الاحتفاظ كثيرة ومتنوعة بحسب الأغراض وبكثرة الجهات التي تحتفظ بها، ومن هذه الأغراض:

ما يتعلق برسوم البيع والشراء سواء ما تعلق بالماء والأرض بين طرفين بائع ومشتري، مما يفرض على المشتري الحفاظ على هذه الوثائق قصد التصريح بها عند الضرورة وتبيان ملكيته.

ومنها ما يتعلق بكراء نوبات الماء ، وساعات السقي والتقسيم مما يتطلب الحفاظ عليا .

ومع مرور الوقت يحتفظ بهذه الوثائق الأبناء ابا عن جد ، وفي بعض الأحيان نجد الأعيان لهم هذه الوثائق، يحتفظون بها .



ويحتفظ بها العدل الذي يقوم بتحرير الوثائق بين الأفراد وكذلك الفقيه الذي يحل النزاعات بين القبائل والجماعات، ويرثها ابناءه. ويحتفظون بها كإرث عن أبيهم.

ما نستخلصه من هذه النقطة هو أن الوثائق متوفرة في المنازل وكذا عند الشيوخ والأعيان خصوصا في مناطق الإستقرار البشري القديم، ترعاها جهات مختلفة ولكن يصعب الوصول إليها لكون هذه الجهات تخاف من الغرباء خصوصا طلاب العلم حيث يعتبرونهم من وسائل التجسس ولا يمكنونهم من هذه الوثائق. فيبقى عديد منها حبيس التكدس في أماكن قد لا تكون صالحة للحفاظ عليا وقد تتعرض للتلف وقد يقدم أحد الأبناء بعد وفاة ابيه بحرق كل المخلفات القديمة التي لم تعد صالحة للاستعمال أو يصعب قراءتها، مما يؤدي لفقدانها والتخلي عنها نتيجة عدم الوعي بها وبمزاياها التاريخية.

2-2 :الأماكن المعدة للحفاظ على الوثائق المتعلقة بالماء.

تحظى الوثائق التاريخية المتواجدة بالأحواز والتي تمتلكها الأهالي أو الساهرون على شأن الحفاض على هذه الوثائق، على عناية خاصة على اختلاف هذه الوثائق وتنوعها ، والوثائق المتعلقة بالماء شأنها شأن جميع الوثائق لا تخرج عن منطق الاحتفاظ بها والحيلولة دون إتلافها.

أمام ضعف الإمكانيات التي تسمح بالحفاظ على الوثائق في أمكنة متطورة ونسخها عبر الحاسوب فإن الجهات المكلفة بهذا الحفاظ والتي في الغالب تكون هي المالكة لهذه الوثائق فإنها ابتكرت وسائل عديدة تستجيب لمتطلبات هذا الحفاظ ، ذلك ان الوثائق وزمن كتابتها في غالب الأحيان يكون بعيدا عنا مما يفرض ضرورة التفكير في طرق وأساليب تستجيب لمعايير الحفاظ عليها قصد استمراريتها في الزمن دون تعرضها للتلف او التمزيق، سواء من خلال وضعها في صناديق وإحكام إغلاقها بشكل جيد لتفادي ضياعها وكذا من خلال إخفائها عن الانظار لكي لا تتلفها الأيادي البشرية، او يساء استعمالها وسواء من خلال حمايتها من التلف جراء العوامل الطبيعية من رطوبة وارتفاع للحرارة أو تدخل القوارض، التي بمكنها أن تتسلل للوثائق المصنوعة من الكاغد والتي يسهل على الفئران قدمها وتمزيقها.



اهتدى الناس المعنيون بالحفاظ على هذه الوثائق وعرفوا الدور الذي تلعبه، لوسائل للحفاظ على هذه الوثائق. واستعانوا بوسائل طبيعية تساهم بشكل كبيير في الحفاظ على هذه الوثائق ، ولكن على اختلاف هذه الوسائل والتقنيات التي تستعمل في الحفاظ على هذه الوثائق ، فإن العامل لبشري بتدخله يبقى أهم العوامل التي يمكنها ان تساهم في اتلاف هذه الوثائق مما جعلنا نلاحظ أن بعض العائلات تحافظ على هذه الوثائق في محلات مخصصة للأشياء الثمينة قصد إخفاءها على الانظار وعدم تمكين الاطفال منها لكي لا يثم إتلافها.

وبالإضافة إلى كون هذه الوثائق تعرف هذه الإجراءات للحفاظ عليها ، فإنها في بعض الأحيان تكون هذه الوثائق مقدسة ، ولها أهمية خاصة ، نظرا لعدة اعتبارات حيث أنها في بعض الأحيان تكون إثباتا على حيازة بقعة أرضية، أو تحديدا مهما لحل نازلة فقهية متعلقة بالماء أو غيره ، وقد تكون متعلقة ببيع وشراه أو كراء ، مما يجعل مالكها يحافظ عليها حفاظا جيدا.

نجد ايضا بعض القبائل العربية تمتلك شجرة النسب خصوصا إذا كان هذا النسب ممتدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحظى هذه الوثائق بعناية خاصة ، ويتم تقديمها ساعة الحاجة لتباهي بها والتباهي بالنسب الشريف للعائلة أو القبيلة المالكة لهذه الوثيقة ، ومثل هذه الوثائق كثيرة في بلاد المغرب على اختلافها وتنوعها وتنوع أشكالها ومسمياتها والقضايا التي تعالجها.

ومن الوسائل المستعملة في الحفاظ على الوثائق عند العائلات :

1- **استعمال القصب** : حيث يتم طي الوثيقة بعناية فائقة ولفها وإدخالها لجزء من القصب، يكون مغلقا من جهة ومن الجهة الأخرى المفتوحة يتم إغلاقها بقطعة من الخشب يثم نجارتها على مقاس فوهة القصبة المفتوحة ، وتجمع هذه الوثائق لتوضع في صناديق خشبية تساهم في حفظها عن الأنظار، ويحكم إغلاق هذه الصناديق بأقفال في حالة تواجدها بغرف متاح لجميع أفراد العائلة الولوج لها. وفي بعض الأحيان توضع داخل بعض الغرف التي تتميز بالحفظ وعدم امكانية دخول جميع أفراد العائلة لها، خصوصا إذا كانت العائلة كبيرة فيها الجد والابناء والحفدة وزوجات الأبناء.



صورة لقصبة تستعمل لحفظ الوثائق تبين كيفية إغلاق القصبة وكيفية نجارتها .

2- **استعمال الحقائب**: هذه الطريقة التي تعد للحفاظ على هذه الوثائق، قد لا تسمح بحفظها بشكل جيد وقد تزيد من امكانية تعرضها للتلف، ولكن على الرغم من ذلك فهي من الوسائل التي تحافظ على جمع هذه الوثائق، وتسهم في جمعها وتخزينها، ونفس الشيء بالنسبة للمكان العام الذي توضع فيه الذي في غالب الاحيان يكون في غرف خاصة مغلقة بأقفال لا يمتلك مفاتحه إلا البعض من العائلة.





صندوق خشبي تجمع به القصبات التي تحتوي على الوثائق في ملك إحدى العائلات[35].



الوثائق المحلية بعد إخراجها من القصبات ومحاولة تفريغها في ملفات.سنة 2014.

35 – رشيد الشحمي ، مرجع سابق، صورة مقتطفة من البحث ص 223.



المبحث الثالث: توجيهات أساتذة ماستر الماء وسبل الحصول على الوثائق.

3–1: توجيهات اساتذة ماستر الماء في تاريخ المغرب

قبل الشروع في الحديث عن التوجيهات التي يقدمها اساتذة شعبة التاريخ والحضارة، نرى أنه من الافيد تقديم تعريف لماستر الماء.

1 : ماستر الماء في تاريخ المغرب : هو تكوين يروم استكمال الدراسات العليا بالنسبة للطلبة الحاصلين على الإجازة في شعبة التاريخ ثم فتحه سنة 2011، من طرف اساتذة التاريخ والحضارة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وهو بهذا الاسم فإنه يولي أهمية قصوى للتاريخ الاجتماعي عبر معرفة المجال المغربي حق المعرفة وذلك بالاستعانة بعلوم أخرى تساعد التاريخ ومن بين هذه العلوم علم الجغرافيا، وبهذا يكون هذا الماستر منفتحا على المجال ويدرس الزمن الطويل ، ويثور على تقديس التاريخ السياسي وتمجيده، ويلفت الانتباه للتاريخ الاجتماعي. فمسألة الماء وعلاقته بالكون والإنسان أثارت اهتمام المفكرين والباحثين منذ القديم بهذه المادة الحيوية ....فليس غريبا ان نجد أعرق الحضارات البشرية واكثرها تطورا نشأت ونمت حول الانهار الكبرى والمجاري المائية، فحضارة النيل وحضارة بلاد الرافدين لم يكن بناؤها ممكنا لولا التحكم في المياه، وما يفرز ذلك من تركز للسلطة وتبيان تراتبية اجتماعية واضحة[36].

2 : **توجيهات الأساتذة للطلبة**: صب اهتمام الأساتذة الباحثين على توجيه الطلبة للبحث في المنوغرافيات المحلية للقبائل والجماعات المغربية لما تزخر به هذه المعطيات من معلومات مجالية مهمة تساهم في فهم العلاقات الاجتماعية وربطها بالعامل الزمني ، وتوظيف هذه المعطيات في البحث التاريخي، مع التركيز على التاريخ المتعلق بالبادية لأن الكتابات التي عنت هذا الصنف من المجالات لا تخرج على نقل معلومات تاريخية قليلة حول مناطق البحث ذلك أن الذين كتبوا تاريخ المغرب اهتموا بشكل كبيير بالحواضر والعواصم المغربية الكبرى دون إيلاء أي

[36]محمد مهدان، الماء والتنظيم الإجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الإجتماعي للسقي بواحة تودغى، منشورات جامعة ابن زهر اكادير طباعة ونشر سوسه اكادير سنة 2012. ص 6.



أهمية بالنسبة للبوادي، وانصبت أقلام الباحثين والمؤرخين سواء منهم المحلين أو حتى الأجانب على الوصف الجغرافي للمجالات المدروسة بل في بعض الأحيان نقل معلومات تاريخية مغلوطة، لا تعير أدنى اهمية للسكان وعلاقاتهم الاجتماعية مبرزة جوانب وصامتة على جوانب كثيرة ومعطيات جمة. مما فرض على الباحثين تشمير ساعد الجد قصد البحث في قضايا متعددة فكان

لزاما على هؤلاء الأساتذة تكوين ثلة من الطلبة بخصوص البحث الميداني وفق معايير تستجيب للبحث الاكاديمي ومبنية على رؤى واضحة. فتسنى للطلبة الباحثين حصول الاستفادة النظرية داخل حصص تكوين الماستر، واستعانوا بقدراتهم البحثية وعلاقاتهم بالقبائل التي يقطنونها، وتعرفوا على العائلات التي تمتلك الوثائق نظرا لما لهم من علاقات سواء كانت علاقة قرابة او صداقة ومعرفة، مما استوجب الاعتماد على وعي المثقفين من هذه العائلات، لتسهيل عملية جمع الوثائق قصد تحقيقها وسبر أغوارها ودراسة المناطق التي لم تصلها اقلام المؤرخين إلا شططا ، وإماطة اللثام على جوانب متعددة كمسالة الماء وما يترتب عنها من أحداث اجتماعية وسياسية وتقنية ترصد الحياة الفكرية والثقافية لسكان البوادي وتبرز علاقاتهم بالأرض والماء. والتي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق جمع هذه الوثائق وتحقيقها والاستفادة منها في البحث التاريخي، والدراسات الأكاديمية.

هذا ما أهل مجموعة من الطلبة وجعلهم يشتغلون على المنوغرافيات وجمع الوثائق المحلية التي تحتفظ بها العائلات والأسر العريقة في البوادي مستغلين انتماءاتهم للمجالات المدروسة. عبر خلق شبكة من العلاقات مع سكان هذه المناطق قصد تمكينهم من الوثائق والاستعانة بالرواية الشفوية نظرا لما لهذه الأخيرة من إضافات نوعية للحقل التاريخي وخولهم الانتماء للمجالات المدروسة ملاحظة العادات والتقاليد قصد اكتشاف الذهنيات.

3–2: سبل الحصول على الوثائق التاريخية المتعلقة بالماء.

نهج الطلبة في الحصول على الوثائق التاريخية سبل متعددة وأساليب كثيرة لكن تبقى أهم وسيلة للحصول على هذه الوثائق التاريخية هي المعرفة الشخصية للعائلات المالكة للوثائق وكذا انتماءاتهم للمجالات التي يدرسونها ، فلا يمكن لأي كان الحصول على الوثائق من طرف هذه العائلات لكون هذه الاخيرة لا تمكن الوثائق إلا لمن تعرفهم.



ومن الطرق التي يعتمد عليها الطلبة في البداية هي التعرف على العائلات ومعرفة التي لها الوثائق والاستئناس معها بزيارتها اول مرة دون السؤال على الوثائق مباشرة، بل الاكتفاء بفتح نقاشات متعددة تهم تاريخ المنطقة ولو بالاقتصار على التاريخ الذي تختزنه الذاكرة.

هذا ما يتطلب مهارة مهمة في فنون التواصل وخبرة كافية في معرفة تاريخ المنطقة وأحداثها التاريخية، والتركيز على البطولات التي ميزت المنطقة قصد تحقيق الثقة المتبادلة مع العائلات وكذا الجهات التي تمتلك هذه الوثائق، فلا يمكن للباحث الخوض مباشرة في موضوع الوثائق لأنه قد يعتقد أصحابها أنه من الذين يبحثون على الكنوز، ويفوت عليه فرصة الحصول على الوثائق بل في بعض الاحيان إنكار وجودها.

سنعرج على ذكر البعض منها دون التطرق لها بأكملها ذلك ان الوسائل والطرف تختلف من باحث لأخر.

فبالإضافة لعامل القرابة الذي يكون مع هذه العائلات قد يحصل ان تكون الجهات المالكة للوثيقة، لها ميولات علمية وتضم بعض الدارسين بالجامعة مما يجعلهم يساهمون في تمكين الطلبة الباحثين من الوثائق، بل وتوصية ابائهم واقربائهم بتقديم المساعدة ومنح الوثائق للباحثين قصد تصويرها والاحتفاظ بالنسخ الأصلية، مما يتيح للباحث امكانية الحصول على نسخ قصد تجميعها وبعد ذلك تفريغها في ملفات تسهل عملية دراستها وتحقيقها.

وفي حالة صعوبة الحصول على الوثيقة من طرف العائلة ونقلها لأقرب مركز للنسخ، فإن الباحث يلجأ إلى تصويرها عبر ألات تصوير أو عبر جهاز الهاتف النقال ، مما يفرض على كل باحث ضرورة التسلح بكل الأجهزة اللازمة لضمان حصول أفضل، على هذه الوثائق. ومن المستلزمات التي يتخذها الباحث الى جانبه، الكراسات والاقلام التي تساهم في تسجيل تاريخ الحصول على الوثيقة واسم الجهة التي تحافظ عليها ، ومكان الاحتفاظ بها ، فإنه ملزم أيضا بتوفير أجهزة التصوير قصد إحكام تصوير الوثيقة، وضرورة أخد صور حتى المكان الذي تحتفظ فيه قصد الإحالة عليها ساعة الضرورة. وكذلك ضرورة التوفر على ألة تسجيل صوتية قصد تسجيل الرواية الشفوية والحوار الدائر بين صاحب الوثيقة والباحث.



يستحب في حالة عدم حصول الاطمئنان اللازم بين الباحث والممتلك للوثيقة، عدم إظهار جهاز التسجيل ، لكي لا يحصل تحوير في النقاش ولعتمة في الكلام بالنسبة للممتلك للصورة ولكي يتكلم بعفوية وتلقائية دون مركبات نقص ، قد تجعله لا يقدم المعلومات بشكل صحيح.

وبعد تجميع هذه الوثائق فإن الطلبة الباحثين يعكفون على تفريغها في ملفات متعددة ، فتسنح الفرصة للأستاذ المؤطر في البحث على الاطلاع عليها وتقديم المساعدة والتوجيه للطلبة والسهر على تقديمها في احلى حلة والاستفادة منها وتوظيفها في البحوث بطريقة تنسجم ومعايير التحقيق والكتابة التاريخية. وتغني البحث التاريخي عموما وتضاف لخزانة البحوث الجامعية المنصبة حول الحياة الاجتماعية المرتبطة بالماء مبرزة التراتبية الاجتماعية الحاصلة عن هذا المعطى وموضحة العلاقة بين السلطة والأرض والماء.



صورة تبين عملية تفريغ الوثائق ووضعها في ملف خاص قصد الحفاظ عليها، سنة 2014.



المبحث الرابع: الدراسات والأبحاث الجامعية وعلاقتها بالوثائق.

4-1: الإضافات النوعية الوثائقية للبحوث الجامعية.

لعبت الوثائق المحلية المحصل عليها من طرف الباحثين في سلك الماستر، والذين انجزوا بحوثا انطلاقا من خلال جمع هذه الوثائق ادوارا هامة. تحصل بواسطتها تراكم معرفي تاريخي بالمجال وبالعلاقات الإجتماعية التي تميز سكان البوادي ورصدت حياتهم اليومية عبر التقاط بعض المعلومات بخصوص التراتب الإجتماعي وتوصلت بعض هذه البحوث إلى إبراز السلطة وما لها من ادوار في هذا التراتب. وكيف أن الماء عامل أساسي في تحديد هذا التراتب ومعيار من معايير معرفة السلطة ، بحيث ان من يمتلك القوة هو الذي يسير ويمتلك اكبر حصص للماء.

انطلاقا من هذه الوثائق فقد تم التقاط عديد من الإشارات التي أسهمت في إغناء البحث التاريخي عموما أثرت النقاش الفكري الدائر حول الوثائق المحلية التي يذهب البعض لتسميتها بالوثائق العدلية لكون العدول هو من يتكلف بتحريرها، او الفقيه الذي سبق الإشارة اليه.

فكما هو معروف بأن القبائل والعشائر والقرى الصغيرة التي تكون بعيدة عن مركز السلطة قد لا تحظى باهتمام بالغ من طرف السلطة وتكون شبه غائبة حتى عند المفكرين والمؤرخين ولا يولونها أهمية قصوى، وهذا راجع بالأساس إلى كون الاقلام التي تكتب التاريخ عموما تكون قريبة من السلطان وتعتبر من الحاشية، وبما أن تاريخ المغرب عرف إمبراطوريات كبرى مرت منه كالدولة الموحدية والمرابطية، وعلى الرغم من كون هذه الدول تشكلت عن طريق القبيلة حيث لعبت هذه الاخيرة دورا مركزيا ورياديا في تأسيس عديد من الكيانات، فهي لم تحظى بالدراسات الكافية التي تشفي الغليل.

انصبت اقلام المؤرخين على الحواضر ونسيت امر البوادي ولم تدرس المورفولوجيا السكانية للبوادي إلا من خلال أبعاد وزوايا لا تخرج على منطق تمجيد الدولة الحاكمة ولا نكاد نجد ذكرا لبعض القبائل الا في حالة زيارة بعض السلاطين لها أو من خلال بعض الرسائل لأعيان هذه القبيلة للمشاركة إلى جانب السلطان في حركاته، مما دفع الطلاب الباحثين في



ماستر الماء، للبحث في تاريخ المناطق عبر تسليط الضوء على المنوغرافيات ومحاولة الإطلاع على التاريخ المنسي قصد فهم المجال القروي فهما عميقا ، فتسنى للطلبة حصول فرصة البحث في مناطقهم ومعرفة تاريخها، عبر جمع المعطيات التي ذكرتها المصادر التاريخية ومقابلتها ببعض الوثائق المحلية التي في كثير من الأحيان نجدها تغطي النقص الحاصل في تاريخ هذه المناطق وتسد بعض الثغرات المتعلقة بالحياة الاجتماعية للسكان.

تجود الوثائق المحلية والعدلية على الباحث بمعلومات تبين جوانب متعددة تلامس ما هو اقتصادي وما هو اجتماعي وما هو سياسي، وما هو ذهني ، وترقى في بعض المستويات الى نقل الحقيقة عبر تصحيح بعض التواريخ والمعلومات، خصوصا إذا تعلق الأمر بالأشعار التي ينظمها الناس على السلطة المركزية أو أي واقعة اجتماعية أو سياسية، ليبرز هذا الشعر الذي قد يعتر عليه متضمنا في هذه الوثائق ويتناول حقائق تغيب في التاريخ الرسمي. مما يتيح للباحث فرصة المقابلة بين الرواية الرسمية التي يكتبها مؤرخو السلاطين والرواية المتضمنة في الوثائق التي تنبع من صلب القرية والقبيلة، تعبر عن المستوى الفكري والثقافي والذهني لأهل المنطقة وسكانها.

إن البحث في ثنايا الوثائق العدلية التي تعد مصدرا مهما لتوثيق حياة الأفراد والمجتمعات خاصة في جانب المعاملات المائية ، هو بحث أساسي للمؤرخ لما تقدمه من فائدة وأهمية علمية للبحث والاستدلال التاريخي، لأنها تدعم البحث في الظواهر الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع ما، إذا كان الغرض الأساسي من تأليفها يكمن في تلبية ضرورات أملتها مصالح تتجلى في حاجة الناس إليها في شؤون حياتهم اليومية ، ومن ثم فهي انعكاس لمشكلات المجتمع وبنياته، وبالتالي فهي تقدم مادة تاريخية هامة تهم تاريخ عادات واعراف وتنظيمات المجتمع، وتعطي البديل لبعض ما سكتت عنه كتب التاريخ[37].

إن هذه الوثائق، وخاصة وتائق المعاملات المائية، تعد مصدرا تاريخيا حقيقيا لبعض ما تعرفه حركية الأسر بالمنطقة مثل تقسيم الفخذات والهجرة الناتجة إما عن حروب أو أفات طبيعية مثل الجفاف والقحط والاوبئة، وتعد مصدرا للتاريخ

---

[37] – رشيد شحمي، جوانب من قضايا الماء بقبيلة مسفيوة من خلال وثائق عدلية ، مرجع سابق ، ص 202.



للأعلام البشرية والجغرافية...، لما تتضمنه من معلومات تحملها في طياتها ومضمونها . وإجمالا إن هذه الوثائق ستفيد التاريخ فيما يلي:

- الحياة السياسية للمجتمعات.
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأنشطة السكان.
- الحياة الفكرية والثقافية واللغوية والدينية لأي مجتمع.
- الأعراف و القوانين والتنظيمات بالمجال.
- اعلام القضاة والعدول والفقهاء وائمة المساجد.
- وفيات الاعلام والاعيان مثل القواد والشيوخ.
- المصطلحات المحلية والمراحل التي مرت بها .
- العملات النقدية المتداولة والمكاييل والاوزان.
- تحقيق الأنساب ومعرفة تسلسل الأجداد.
- توثيق دور كل من المرأة والرجل بالمجتمع.
- دراسة اللغة والمراحل التي مرت منها.[38]

2-4: الدراسات الجامعية وأثرها على الوثائق.

سأبدأ هنا بعبارة أوردها الطالب رشيد الشحمي في نهاية بحثه من خلال التوصيات التي خلص إليها لإبراز هذا الدور انطلاقا من مثال حي، حيث قال" وفي الأخير ، وانطلاقا من إيماننا بالبحث التاريخي من خلال الوثائق العدلية (المحلية). من اجل دراسة المجتمعات البشرية نوصي بما يلي:

[38] - مرجع رشيد الشحمي مرجع سابق. ص ص. 202- 203.



- ان يتم جمع هذه الوثائق ووضعها في أرشيف محلي من أجل الاعتناء بها ، وحفظها من الضياع ، وذلك عن طريق إحداث فروع لمؤسسة ارشيف المغرب ...للقبائل المغربية قصد جمع وتصوير وتوفير الوثائق والكتابات ، ووضعها رهن إشارة الباحثين والراغبين في ذلك[39].

وبهذا فمثل هذه التوصيات تسهم في التوعية بدور الوثائق وتبرز كيف استفادت الوثائق من الدراسات الجامعية وذلك عبر الدعوة لجمعا والتنقيب عنها وأرشفتها وصيانتها.

وانطلاقا من المجهودات التي يبدلها طلبة ماستر الماء وكذا التوجيهات التي يقدمها لهم الاساتذة فإننا نلحظ بشكل كبير وجلي مدى استفادة البحوث التاريخية من هذه الوثائق وكذلك استفادة هذه الوثائق من هذه البحوث حيث يتم

إخراجها لحيز الوجود عبر جمعها وتحقيقها ووضعها في ملفات خاصة ، وارشفتها في الحواسيب الخاصة بالطلبة الباحثين الذين اهتموا بها وجمعوها.

هذا دليل على ان هذه البحوث لم تسهم وفقط في إغناء التاريخ بل ساهمت ايضا في الحفاظ على هذه الوثائق ودعت العديد من الباحثين إلى الخوض في غمار البحث عن الوثائق المنسية والمدفونة في المنازل، والتي يهددها بلا شك الإتلاف إن لم تسارع الجهات المعنية بالتنقيب عنها وارشفتها ومحاولة إنقاذها، بل وجمعها وفي حالة لم يتسنى للجهات المعنية جمعها ، نتيجة استحالة الحصول عليها نظرا للصعوبات التي تواجه المعنين امام تعنت بعض العائلات المالكة لهذه الوثائق وعدم تمكينها للباحثين والمهتمين بها. فمن الواجب على هذه الجهات على الأقل دعم الطلبة الباحثين وتشجيعهم قصد استكمال البحث عن هذه الوثائق.

إن الدراسات الجامعية التاريخية تروم دائما التوصل للجديد وتكشف عن حقائق تاريخية مهمة وفق مناهج البحث التاريخي الجديدة وتستجيب لمتطلبات الساحة التاريخية مما جعل البحث عن الوثائق التاريخية العدلية والمحلية ضرورة ملزمة جعلت من هذه الوثائق صلب الموضوع ودفعت بالطلبة الباحثين إلى التنقيب عن هذه الوثائق وجمعها وتخزينها.

---

39 – رشيد الشحمي ، مرجع نفسه. ص 203.



بفضل هذه الدراسات والبحوث أصبحت الوثائق تتعرض لعملية جمع وتخزين ومحافظة مبنية على قواعد سليمة تهدف لتحقيق نتائج مزدوجة تروم الإفادة والاستفادة فحصلت الاستفادة للدراسات الجامعية من خلال المعلومات التي تكتنزها هذه الوثائق، والإفادة التي تقدمها هذه البحوث والدراسات الجامعية للوثائق، ماهي إلا مزية تكمن في جمعها وتخزينها وحمايتها من الإتلاف وتشجيع البحث عن طريق التنقيب عنها والدعوة إلى المحافظة عليها. و بهذا تكون العلاقة المتبادلة بين الوثائق والدراسات الجامعية علاقة تكامل وتلاحم وعلاقة تأثير وتأثر.

فلولا البحوث والدراسات الجامعية لما تسنى لنا الحصول على عديد من الوثائق كان من الممكن تعرضها للنسيان وضياعها مع الزمن أمام صعوبة إحاطة الناس المعنيين بأرشفة الوثائق على كل الوثائق، ولذلك فالدراسات الجامعية وفرت لنا كما هائلا من الوثائق التي لازالت تحتاج للدراسة والتدقيق والتحليل.

خاتمة.

حول ماستر الماء في تاريخ المغرب، للطلبة الباحثين في خضم موضوعه، فتح باب يجعلهم يتوجهون صوب البحث عن الوثائق التاريخية المتعلقة بالماء، قصد التنقيب عنها والاستفادة منها في إنجاز بحوثهم الجامعية ، مما افرز لنا توفر كم هائل من الوثائق التاريخية التي كانت طي النسيان وفتحت أفاقا جديدة أمام البحث التاريخي عموما، لما تتضمنه من معلومات اقتصادية واجتماعية وسياسية وذهنية وفكرية ، فأغنت البحث التاريخي المتعلق بالقبائل المغربية التي انجزت حولها هذه البحوث، وتم التعرف على نوعية هذه الوثائق من الناحية الشكلية والجهات التي تختزنها ، ووظفت أساليب وتقنيات متعددة ترمي للتعامل الجيد مع هذه الوثائق عبر تخزينها وجمعا والاحتفاظ بها وكذا سبر اغوارها ، وهذا لم يلقى نجاحا إلا بالاستعانة بالتوجيهات التي يقدمها اساتذة شعبة التاريخ للخوض في غمار البحث التاريخي عبر التنقيب عن هذه الوثائق، والتي على وفرتها وتعددها لا يمكن إحصائها ، والتي تتطلب حفاضا وعناية خاصة قصد عدم تعرضها للتلف، وبواسطة هذه البحوث والدراسات الجامعية، تم التعرف على هذه الوثائق والجهات التي تمتلكها والاماكن التي توضع فيها وطرق واساليب الحفاظ عليها ، كما ان الممارسة الميدانية التي استنتجناها عبر بعض النجاحات التي حققها بعض الطلبة في التنقيب عن هذه الوثائق امكننا معرفة سبل وطرق التوصل لهذه الوثائق والخطوات التي نهجها هؤلاء الطلبة في الحصول عليها ، وكيفية التعامل معها.



بيد أننا أدركنا مزايا هذه الوثائق من خلال الإضافات النوعية التي لامستها مواضيع هذه الوثائق، فحصل لهذه الوثائق علاقة تأثير وتأثر بحيث لم تستفد منها وفقط هذه البحوث ، بل حتى الوثائق التاريخية العدلية المنتشرة عند العائلات استفادت عبر جمعها وارشفتها في ملفات خاصة وإتاحتها للباحثين والمهتمين قصد الاستعانة بها في قادم الابحاث والدراسات. وبهذا تكون هذه الوثائق بمثابة خزان للمعلومات دفين يتطلب البحث والتنقيب عنه لما له من أدوار طلائعية في البحث التاريخي.

كما أن الدراسات والأبحاث الجامعية لعبت دورا رياديا في الكشف عن هذه الوثائق التي تعتبر مادة دسمة بالمعلومات التاريخية التي تغني الساحة المعرفية التاريخية، مما دعا المعنيين بأمر البحث العلمي إلى تشجيع الباحثين والبحث العلمي عموما لما له من كبير الفضل في تحقيق الرقي والازدهار للدول والشعوب والامم ، ومعرفة هذه الوثائق إضافة نوعية مهمة تدعوا لمزيد من التنقيب والبحث عنها وتطوير سبل الحصول عليها.

الفكرة الإبداعية.

يجب التركيز على اهمية هذه الوثائق، مما يستوجب على المشتغلين في هذا المجال المتعلق بتحقيق الوثائق وجمعها التنويه بالدور الفعال للدراسات والابحاث الجامعية لما لها من كبير الفضل في اغناء المعرفة الإنسانية . وكذا دورها التنقيبي عن الوثائق التاريخية ،وتماشيا مع موضوع المؤتمر الذي يعنى بالإجراءات العملية فمن الخطوات التي نقترحها ويمكن ان تقدم حلولا للحيلولة دون ضياع هذه الوثائق التاريخية ، هو خلق مثل هذه التكوينات التي تدفع بطلبة الجامعات والباحثين عموما للتنقيب عنها,

هذا ما فرض على المكونين اختيار عينات من الطلبة تختلف مجالاتهم ليتم تغطية اكبر مساحة من المجالات ، فيحتاج للطلبة على اختلاف اماكنهم للبحث عنها نظرا لما يلعبه الانتماء لمجالات قبلية يصعب على الدارس الذي لا ينتمي لها الحصول على هذه الوثائق التي تبقى حكرا على فئة لا تمكن كل الباحثين من الحصول عليها، مما يسمح بجمع اكبر عدد من الوثائق قصد كتابة تاريخ شمولي مبني على جمع الوثائق المحلية التي تساهم في كتابة التاريخ الجهوي ، بغية خلق تراكم تاريخي يعطينا صورة مركبة على امكنة متعددة تفرز لنا تاريخيا تركيبيا.



لائحة المصادر والمراجع:

- امحمد مهدان، الماء والتنظيم الاجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، منشورات جامعة ابن زهر اكادير طباعة ونشر سوس اكادير سنة 2012.
- : حسن إدريسي وعبدالعزيز يوسفي، الأوضاع الاجتماعية والمعمار بسجلماسة (من قرن 2 هـ إلى 8هـ) مطبعة أفاق بريس 2008،.
- رشيد الشحمي جوانب من قضايا الماء بقبيلة مسفيوة من خلال وثائق عدلية من سنة 1704م إلى 1929م. مشيخة ايت إنزال نموذجا. تقديم ودراسة، بحث لنيل شهادة الماستر غير مرقون ، تحث إشراف الدكتور المنصف الكريسي. ماستر الماء شعبة التاريخ والحضارة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض مراكش 2014.
- عبدالله العروي مفهوم التاريخ . الألفاظ والمذاهب ، المفاهيم والاصول، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء المغرب سنة 2005.
- محمد العثماني ، الواح جزولة والتشريع الإسلامي، دراسة في اعراف القبائل السوسية في ضوء التشريع الإسلامي. الطبعة الاولى 2004.
- محمد المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية ، الرباط 1386 هـ 1996 م .

